

قصص الأنبياء

محمد

صلى الله عليه وسلم (32)

فتح خيبر

يكتب: أ. عبد الرحيم عبد المنصور

رسوم: أ. عبد الشافى سيد

إشراف: أ. حمدى مصطفى

88



الله ﷺ ، وَكَانُوا مُرْتَبَطِينَ بِحَلْفٍ مَعَ قَبْيَلَةَ
(غَطَّافَانَ) أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ..

وَفِي بِدَايَةِ السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَبَعْدَ
عُودَتِهِ مِنْ صَلْحٍ (الْحَدِيبِيَّةِ) قَرَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ
يَخْرُجَ فِي أَصْحَابِهِ غَازِيًّا لِحُصُونَ (خِيَبرَ) وَفَاتَحًا لَهَا ..
وَلَمَّا اقْتَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ حُصُونَ (خِيَبرَ)
أَمَرَ الْجَيْشَ بِالتَّوْقُفِ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى -
بِهَذَا الدُّعَاءِ :

- « اللَّهُمَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَمَا أَظْلَلْنَا ، وَرَبُّ
الْأَرْضَيْنِ وَمَا أَقْلَلْنَا ، وَرَبُّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَا ،
وَرَبُّ الرِّيَاحِ وَمَا أَذْرَيْنَا ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا
وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا .. » .

ثُمَّ أَشَارَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، قَائِلًا :

- « أَقْدَمُوا بِسْمِ اللَّهِ » .

وَكَانَ مِنْ عَادَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَزَّ قَوْمًا أَلَا يُغَيِّرُ
عَلَيْهِمْ لِيَلًا ، فَإِذَا سَمِعَ أَذَانًا لَمْ يَغْزِهِمْ ، وَإِذَا لَمْ
يَسْمِعْ أَذَانًا غَزَاهُمْ ..

وَبَاتِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَتَهُ مَعَ الْجَيْشِ ، فَلَمْ
يَسْمِعْ أَذَانًا مِنْ دَاخِلِ حُصُونَ (خَيْبَرْ) فَعَلِمَ أَنَّ الْقَوْمَ
مُقِيمُونَ عَلَى شَرِكِهِمْ وَكُفُرِهِمْ ..

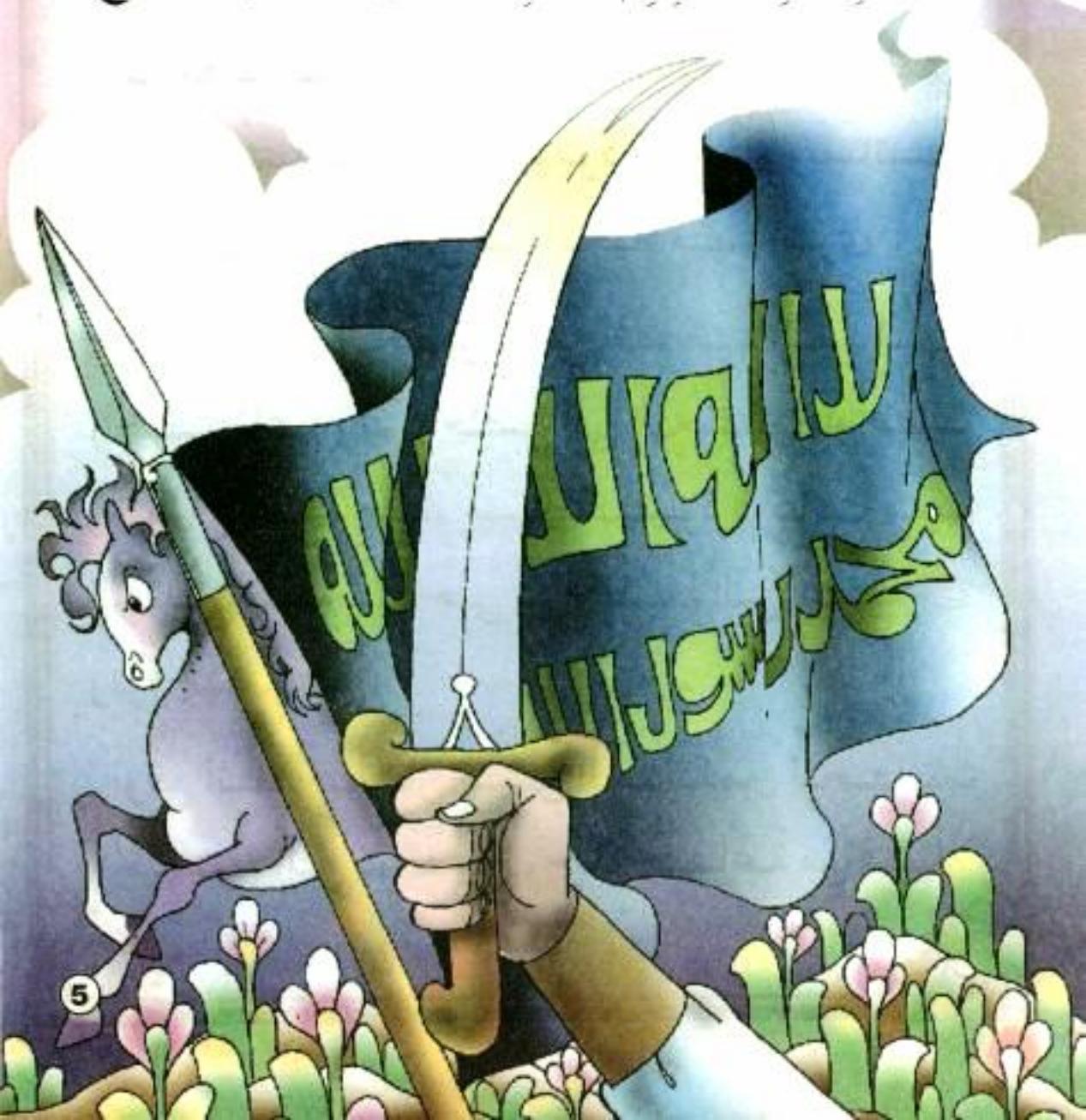
وَفِي الصَّبَاحِ وَاصْلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِيرَهُ مَعَ
الْجَيْشِ تَجَاهَ حُصُونَ (خَيْبَرْ) فَقَابَلَهُ عَمَالَ (خَيْبَرْ)
خَارِجِينَ إِلَى حُقُولِهِمْ وَبِسَاتِينِهِمْ وَهُمْ يَحْمِلُونَ
فَوْسَهُمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ عَادُوا إِلَى حُصُونِهِمْ
خَائِفِينَ ، فَاسْتَبَشَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا ، وَقَالَ :

— «اللَّهُ أَكْبَرُ ، خَرَبَتْ خَيْبَرْ» ..

وَعَسْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَيْشِهِ فِي وَادِ يُسَمَّى
(الرَّجِعِ) بَيْنَ حُصُونَ (خَيْبَرْ) وَمَضَارِبِ قَبِيلَةِ
(غَطَفَانَ) حَتَّى يَحُولَ بَيْنَ يَهُودَ (خَيْبَرْ)

وَالْمُسَاعِدَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يَمْدُهُمْ بِهَا أَهْلُ
(غَطَّافَانَ) ..

وَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ (غَطَّافَانَ) بِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ
ذَهَبُوا لِغَزْوَ حَلْفَائِهِمْ يَهُودَ (خَيْبَرَ) جَمَعُوا السَّلاحَ



وَالْمُقَاتَلِينَ ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى (خِيَبر) لِنَصْرِ أَهْلِهَا
ضَدَ الْمُسْلِمِينَ ، لَكِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - أَقْرَبَ الرُّعْبَ فِي
قُلُوبِهِمْ ، فَعَادُوا إِلَى دِيَارِهِمْ ، وَتَخَلَّوْا عَنْ نَصْرِ
حُلْفَائِهِمْ ..

وَأَخَذَ جَيْشُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُغَيِّرُ عَلَى حُصُونِ
خِيَبرِ حُصُنَا حُصُنَا ، فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَى أَيْدِيهِمْ ،
وَيَغْنِمُ الْمُسْلِمُونَ أَمْوَالَ الْيَهُودِ وَدِيَارِهِمْ وَبِسَاتِينِهِمْ
وَيَأْخُذُونَ مِنْ بَقِيَّةِ عَلَى قِيدِ الْحَيَاةِ مِنْهُمْ أَسْرَى ..

وَكَانَتْ أَوْلُ الْحُصُونَ الَّتِي افْتَحَهَا الْمُسْلِمُونَ
(حُصْنُ نَاعِمَ) ثُمَّ (حُصْنُ أَبِي الْحَقِيقِ) وَأَصَابَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ سَبَائِيَا كَثِيرَةً ، كَانَتْ مِنْهُمْ
السَّيِّدَةُ (صَفِيَّةُ بْنَتُ حَيَّيِّ بْنِ أَخْطَبِ) الَّتِي أَعْتَقَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَتَزَوَّجَهَا ..

وَفِي أَثْنَاءِ حَصَارِ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ لِحُصُونِ
(خِيَبر) الَّتِي لَمْ تُفْتَحْ ، جَاءَ جَمَاعَةً مِنْ قَبْيلَةِ

(أَسْلَمَ) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ تَعْبُوا مِنَ الْجُوعِ ،
وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً يَأْكُلُونَهُ ، وَلَمْ يَجِدْ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ طَعَاماً يُعْطِيهِ لَهُمْ ، فَدَعَا اللَّهَ ، قَائِلاً :
- « اللَّهُمَّ إِنْكَ قَدْ عَرَفْتَ حَالَهُمْ ، وَأَنْ لَيْسَ بِهِمْ
قُوَّةٌ ، وَأَنْ لَيْسَ بِيَدِي شَيْءاً أَعْطِيهِمْ إِيَّاهُ ، فَافْتَحْ
عَلَيْهِمْ أَعْظَمَ حَصُونَهَا عَنْهُمْ غَنَاءً ، وَأَكْثِرْهَا
طَعَاماً وَوَدَّكَا » ..

وَكَانَ حَصْنُ (الصَّعْبُ بْنُ مَعَاذَ) أَكْثَرُ حَصُونِ
(خِيَبر) طَعَاماً ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ فَتَحَّهُ اللَّهُ
- تَعَالَى - عَلَيْهِمْ وَرَزْقَهُمْ مِنْهُ خَيْرًا كَثِيرًا ..
وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ يَفْتَحُونَ حَصَنَاهُمْ بَعْدَ آخِرِ مِنْ
حَصُونِ (خِيَبر) حَتَّى لَمْ يَتَبَقَّ سُوَى حَصَنَيْنِ مِنْ
أَقْوَى الْحَصُونِ ، وَأَشَدُّهَا غَنَاءً وَمَنَاعَةً ، وَهُمَا
(حَصْنُ الْوَطِيق) وَ (حَصْنُ السَّلَالِمَ) فَاسْتَعْصَى
فَتَحَّهُمَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ .. وَحَاصِرَهُمَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بجيشه قرابة أسبوعين ..

فلما اشتد الحصار خرج (مرحب اليهودي)

حاملاً سيفه ، وهو يختال في زهو ، قائلاً :

- من يبارز ؟

فنظر الرسول ﷺ إلى أصحابه ، وقال :

- « من لهذا » ..

فقال (محمد بن مسلمة) وكان أخوه قد قتله

يهود (خيبر) في أثناء فتح أحد حصونهم :

- أنا له يا رسول الله ..

فقال له الرسول ﷺ :

- « فقم إليه .. اللهم أعنده عليه » ..

فبارزه (ابن مسلمة) وقتلها ..

وخرج بعد ذلك (ياسر اليهودي) أخوه (مرحب)

فبارزه (الزبير بن العوام) ضعف وقتلها ..

وَلَمَّا طَالَ حَسَارُ الْمُسْلِمِينَ لِأَحَدِ حُصُونَ (خِيَبرَ)
وَاسْتَعْصَى عَلَى الْفَتْحِ ، أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْيَتَهُ
لَ (أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ) ضَوْعَتْ وَأَرْسَلَهُ إِلَى ذَلِكَ الْحَصْنِ
عَلَى رَأْسِ الْجَيْشِ ، فَتَقَدَّمَ ضَوْعَتْ وَقَاتَلَ طَيْلَةَ النَّهَارَ حَتَّى
تَعَبَ وَتَعَبَ الْجَيْشُ وَلَكِنَ الْحَصْنَ لَمْ يُفْتَحْ ..



وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي تَسَلَّمَ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) ضَرَبَتْ
الرَّاِيَةَ وَقَاتَلَ مَعَ الْجَيْشِ طِيلَةَ النَّهَارِ ، وَلَكِنَّ
الْحَصْنَ لَمْ يَفْتَحْ ..

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

- « لَا يُعْطَى الرَّاِيَةَ غَدَاءَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ،
يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدِيهِ » ..

فَبَاتَ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، وَكُلُّ مِنْهُمْ
يُمْنِي نَفْسَهُ بِأَنَّ يَكُونَ هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يُعْطِيهِ
الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّاِيَةَ غَدَاءً ، وَالَّذِي يَفْتَحُ اللَّهُ - تَعَالَى -
عَلَى يَدِيهِ مَا اسْتَعْصَى مِنْ حَصْنٍ (خِيَبر) ..

وَفِي الصَّبَاحِ اسْتَدْعَى الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (عَلَى بْنِ
أَبِي طَالِبٍ) وَكَانَ ضَعِيفًا مَرِيضًا بِرَمَدٍ فِي عَيْنِيهِ ،
وَأَعْطَاهُ الرَّاِيَةَ ، قَائِلًا :

- « خُذْ هَذِهِ الرَّاِيَةَ ، فَامْضِ بِهَا ، حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ
عَلَيْكَ » ..

وَحَمَلَ (عَلَىٰ) ضَوْفَتَهُ رَأْيَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَأَسْرَعَ بِهَا أَمَامَ الْجَيْشِ بِرَغْمِ مَرْضِهِ ، حَتَّىٰ ثَبَتَهَا
فِي الْأَرْضِ تَحْتَ الْحَصْنِ ، وَشَهَرَ سِيفَهُ ، ثُمَّ أَخْذَ
يَقَاتِلُ يَهُودَ (خَيْبَر) حَتَّىٰ فَتَحَ اللَّهُ (تَعَالَىٰ) عَلَىٰ
يَدِيهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْحُصُونَ الْمُغْلَقَةَ ، وَغَنِمَ
الْمُسْلِمُونَ أَمْوَالَ الْيَهُودِ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ كَثِيرًا ..
وَفِي أَثْنَاءِ الْقِتَالِ ضَرَبَ أَحَدُ الْيَهُودِ التِّرْسَ مِنْ يَدِ
(عَلَىٰ) ضَوْفَتِهِ ، فَطَرَحَهُ بَعِيدًا ، فَحَمَلَ ضَوْفَتَهُ بَابًا مِنِ
الْحَصْنِ وَقَاتَلَ بِهِ ..

وَأَسْرَرَ أَحَدُ زُعْمَاءِ الْيَهُودِ بِ(خَيْبَر) وَهُوَ (كَنَانَةُ
بْنُ الرَّبِيعِ) وَكَانَ هُوَ الَّذِي يَحْفَظُ كُنُوزَ الْيَهُودِ ،
فَلَمَّا سَأَلَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْأَمْوَالِ الَّتِي خَبَأَهَا أَنْكَرَ
أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ عِلْمٍ بِذَلِكَ .. وَلَكِنْ بَعْضُ الْيَهُودِ دَلَّوْا
الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْمَكَانِ الَّذِي أَخْفَى فِيهِ (كَنَانَةُ)
الْأَمْوَالَ ، فَحَفَرَ الْمُسْلِمُونَ الْمَكَانَ وَاسْتَخْرَجُوهَا ..

ولما طال حصار يهود (خيبر) داخل حصنيهم
المنيعين (الوطیح) و (السلام) وأشرفوا على
الهلاك طلبو من رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم ،
وأن ينفيهم إلى الشام ، ويأخذ أموالهم وديارهم
وبساتينهم ، فوافق رسول الله ﷺ على ذلك ..
وهكذا نصر الله - تعالى - رسوله نصراً مؤزراً
على يهود (خيبر) ..

ولما انتهى رسول الله ﷺ من فتح كل حصون
(خيبر) قسم الغنائم على المقاتلين ، واستبقى
الخمس لبيت مال المسلمين ينفق منه على الفقراء
والمساكين ..

و قبل أن يعود الرسول ﷺ إلى المدينة أهدت إليه
امرأة من اليهود هى (زينب بنت الحارث) زوج
(سلام ابن مشكم) شاة مشوية ..
وقد سألت (زينب) بعض صحابة رسول الله ﷺ :

—أَيُّ عَضُوٍ مِّنْ أَعْضَاءِ الشَّاةِ أَحَبٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ؓ ؟
فَقَالُوا لَهَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ؓ يُحِبُّ مِنَ الشَّاةِ الْذِرَاعَ ،



فَأَكْثَرَتْ (زَيْنَبْ) مِنْ وَضْعِ السُّمْ فِي ذِرَاعِ الشَّاةِ ،
ثُمَّ سَمِّيَتْ بِقِيَةِ الشَّاةِ ، وَجَاءَتْ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ
وَمَعَهُ رَجُلٌ هُوَ (بَشَرُ بْنُ الْبَرَاءِ) فَوَضَعَتْهَا أَمَامَهُ ،
فَتَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ذِرَاعَ الشَّاةِ ، فَأَخْذَ مِنْهَا قِطْعَةً
بِفَمِهِ ، فَلَمْ يَسْتَسْغِ طَعْمَهَا وَرَمَاهَا فِي الْحَالِ ..
أَمَّا (بَشَرْ) فَقَدْ أَكَلَ مِنَ الشَّاةِ ، وَلَمْ يَلْفَظْهَا ..
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ :

ـ (إِنَّ هَذَا الْعَظْمَ لِيُخْبِرَنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ) ..

فَلَمَّا جَاءُوا بِالْمَرْأَةِ اعْتَرَفَتْ بِأَنَّهَا وَضَعَتْ السُّمَ
فِي الشَّاةِ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ :

ـ (مَا حَمَلْتَ عَلَى ذَلِكَ ؟) ..

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ :

ـ لَقَدْ فَعَلْتَ بِقَوْمٍ مَا فَعَلْتَ ، فَقُلْتُ : إِنْ كَانَ
مُحَمَّدًا مَلَكًا اسْتَرْحَتْ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا فَسِيَخْبُرُهُ
اللَّهُ بِذَلِكَ ..

فَعَفَا عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .. وَمَاتَ (بَشْرٌ) مِنْ

أَثْرِ السَّمِّ ..

وَمِنَ الْأَمْوَارِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي حَدَثَتْ فِي أَثْنَاءِ فَتْحِ
(خِيَّبَرِ) قَصْةُ اسْتِشَاهَدَ ذَلِكَ الرَّاعِي الْأَسْوَدِ ..

فَقَدْ كَانَ الرَّاعِي الْأَسْوَدُ يَعْمَلُ أَجِيرًا لَدِيْ أَحَدِ
يَهُودِ (خِيَّبَرِ) ، وَذَاتِ يَوْمٍ عَادَ بِالْغَنَمِ مِنَ الْمُرْعَى ،
فَوَجَدَ الْمُسْلِمِينَ مُحَاصِرِينَ لِأَحَدِ الْحُصُونِ ، فَتَوَجَّهَ
الرَّاعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ :

— يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اعْرِضْ عَلَىِ الْإِسْلَامِ ..

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَحْتَقِرُ أَحَدًا مَهْمَا كَانَ
شَانِهِ فِي الْمُجَمَعِ ، وَلَا يَتَكَبَّرُ عَنِ دُعَوَتِهِ لِلْإِسْلَامِ ،
فَعَرَضَ الْإِسْلَامَ عَلَىِ الرَّاعِي وَعَرَفَهُ أَرْكَانُهُ ، فَأَسْلَمَ
الرَّاعِي ، وَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

— إِنِّي أَجِيرٌ لِصَاحِبِ هَذِهِ الْغَنَمِ ، وَهِيَ أَمَانَةٌ عِنْدِي ،
فَمَاذَا أَصْنَعُ بِهَا ..

فَنَصَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْخُذَ الْغَنَمَ إِلَى دَارِ صَاحِبِهَا الْيَهُودِيِّ ، وَهِيَ سَتَعْرُفُ طَرِيقَهَا إِلَى صَاحِبِهَا ..

فَدَفَعَ الرَّاعِي الْغَنَمَ إِلَى دَارِ صَاحِبِهَا ، وَدَفَعَهَا حَتَّى دَخَلَتْ ، ثُمَّ تَقْدَمَ لِيُقَاتِلَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَصَابَهُ حَجَرٌ ، وَسَقَطَ شَهِيدًا ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً ..

(تمَّتْ)

رقم الإيداع : ٣٠٣٤ / ٤٠٠٤

الترقيم الدولي : ٨ - ٣٦ - ٣٧٨ - ٣٧٧

فِصْرُ الْأَنْبِيَاءِ

• الْكِتَابُ الْعَالِيُّ •

مُحَمَّد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

(٢٢)

غَزْوَةُ مَوْتَةٍ

• احْرُصْ عَلَى افْتِنَاهِهِ •